كلمة

الشيخ القاضى حسين أحمد

أمير الجماعة الإسلامية

باكستان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال تعالى عن نبيه ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سبأ : ٢٨) وقال على لسانه ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف : ١٥٨)

بهذه النداءات الربانية الصادقة أدى رسول الله ﷺ الأمانة وبلّغ الرسالة إلى العالمين كافة. ما حطت قافلة من القوافل رحالها فى بقاع مكة إلا وكان ﷺ حريصاً أشد الحرص على أن يتجه إليها ويتحاور معها، يشرح لها حقيقة الإسلام ويدعوها إليه. ما بقي ملك من الملوك أو حكومة من الحكومات إلا وبعث إليها رسله أو رسائله، يقيم بها عليهم الحجة وينير بها لهم المحجة.

الدعوة الأساسية والمبدأ الأساسي الذي دعاهم إليه الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام هي دعوة التوحيد. توحيد خالق الكون والبشرية وتوحيد ربّ الناس وملك الناس وإله الناس. لأن كمال التوحيد يعني كمال العبودية وكمال العبودية يعنى كمال الحرية. بمعنى أن من يوحّد الله ولا يعبد إلا إياه، يخلع ويترك كل أنواع العبودية. يأبى أن يكون له رب إلا الله. ويأبى أن يصاب بالخوف أو أن تفرض عليه الوصايات أو تملى عليه الأوامر ممن يدّعون أنهم أصبحوا أرباباً من دون الله. وبهذا يصبح المسلم الملتزم بمبدأ التوحيد حراً أبياً وكما قيل «سيداً على هذه الأرض عبداً لربها».

إن عقيدة التوحيد هذه تجعله ينظر إلى البشر كلهم نظرة المساواة. لأنه يؤمن عندئذ بأن الناس كل الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر،

كلهم من آدم وآدم من تراب. إنه يستمع إلى كلام الرسول ﷺ أن «الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله». ومن ثم يعتبر نفسه فرداً من أفراد أسرة عالمية، أسرة آدمية، أسرة يسعى فيها الجميع لينفعوا الآخرين، أسرة يخاطبها النبى الكريم ﷺ بقول الخالق عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء : ١) وبقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)

ثم يخاطبها ويقول : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا).

إن دعوة الأسرة البشرية إلى عبودية الله وإلى التوحيد الحقيقي وإلى الحرية الكاملة وإلى المساواة المطلقة هي رسالة جميع الأنبياء منذ نزول آدم وحواء إلى الأرض. وفي هذا يخاطب القرآن الكريم الأمم والأديان ويقول : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران : ٦٧) ويقول : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾(الشورى : ١٣).

ويقول:﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة : ١٣٥).

فالمسلم الذي يؤمن بما جاء به خاتم النبيين، يؤمن بكل ما أوتي النبيون من قبله وهو يتلو قول الله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة : ٢٨٥) ثم إن المسلم الذي يعتبر نفسه فرداً من أفراد الأسرة البشرية ويؤمن بتوحيد الخالق وتوحيد دعوة الرسل والأنبياء جميعاً يسعى دائماً ويجب أن يسعى لأن يبحث عما يجمع الناس ويوحد وجهتهم.

يبحث عن معاني الخير وما يتفق عليه الناس كافة ثم يحاول أن يجمعهم على هذه المبادئ والمعاني السامية المشتركة. وفي هذا الصدد يجد المؤمن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ويجد خير ما يرشده ويوضح معالم الطريق أمامه. فها هو الرسول الكريم يشهد قبل الإسلام حلفاً ينص على التعاون على الخير والبر والتقوى ويحث على النهي عن المنكر والعدوان ويقول عنه ﷺ بعد نزول الوحي (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت) كما يجد قول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : ٦٤) أي أن العبودية الخالصة لله عز وجل وعدم الشرك به وعدم اعتبار أحد (كائنا من كان) رباً من دون الله هي المبادئ الأساسية التي يجب أن يجتمع عليه أتباع الديانات كلها.

العالم المتحضر يحتضر

إننا لو نظرنا إلى عالمنا اليوم نجده في أمس الحاجة إلى مثل هذه الأسس المشتركة. فالعالم المتحضر المزعوم بدأ يحتضر. يعترف بذلك القاصي والداني، وأكد على ذلك عديد من مسؤولي ومفكري العالم الغربي. فمثلا ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز يعترف ويقول: إن أهم ما فقدناه هو أننا

قد فقدنا الشعور بالقدسية، فلم يعد بيننا شيء مقدس بدءاً من الوشائج الأسرية والعلاقات العائلية الشخصية وإنتهاءً إلى المقدسات الدينية العقدية ثم يقترح الأمير تشارلز الاستفادة من المعلمين والأساتذة المسلمين حتى يغرسوا في قلوب الأجيال الجديدة الإحساس بالقدسية.

لقد عَلِمَ الغرب وأيقن أن الحياة الأسرية لم تسلم ولن تستنقذ إلا بمراعاة أسس الحَلال والحرام، وأن هذا لن يتحقق إلا إذا آمن المرء بالوحي السماوي وبالتعاليم الإلهية. ليست الحياة الأسرية فحسب؛ بل النجاة من الأمراض الخبيثة مثل مرض فقدان المناعة والأمراض التي تنجم من تعاطي المخدرات والأمراض التي تنجم من ثقافة العري والفحشاء والمنكر لا يمكن أن يسلم منها المجتمع العالمي إلا بالتمسك بالتعاليم السماوية.

ومن هنا تأتي أهمية وضرورة وحتمية الحوار مع الجميع وخاصة مع المجتمع الغربي. ومن إعجاز الإسلام أن نداءات الاستفادة من تعاليم الإسلام بدأت تعلو من الغرب نفسه.

فالالتزام بحياة العفة والاحتشام والبعد عن كل ما يخل العقل ويدفع بالإنسان إلى مستنقع المخدرات والقضاء على جميع مظاهر العنف والإرهاب والضيم والحرب والاضطهاد والتمسك بمبادئ الأمن والسلام أصبحت مطالب إنسانية عالمية عامة.

وأصبحت من الثوابت العالمية يخرج من أجلها جميع الطوائف البشرية في مسيرات مليونية فى معظم العواصم الغربية. ينددون بالحرب فى العراق وفي أفغانستان ويطالبون بسحب الجيوش الغازية وبحل القضايا العالمية عبر المفاوضات الجادة والحقيقية.

إن هذا الجو العالمي الجديد يتيح لنا - نحن المسلمين- فرصة التواصل والحوار والدعوة والإرشاد في العالم كله، بل أعتبر ما صدر من الأمير تشارلز - (ما أشرت إليه آنفاً) - أو ما صرح به كبير الأساقفة في بريطانيا حول ضرورة تطبيق الشريعة في الجالية المسلمة هناك وما تبناه عمدة مدينة لندن كين ليونغستون من قضايا الأمة الإسلامية وعلى رأسها قضية فلسطين، وما خرجت من المظاهرات الاحتجاجية نظمها المسيحيون وغيرهم من سكان الدول الأوروبية ضد الرسوم المسيئة إلى الرسول ﷺ وإلى القرآن الكريم أعتبر كل هذا ثماراً للحوار البناء ونتيجة للتواصل الإيجابي مع الآخرين إلى جانب التمسك بالموقف الرافض لما يتعارض مع معانى العدل ومبادئ القسط.

إن نجاح جهود الحوار الصادق لا بد أن يؤدي إلى اعتراف أهل الغرب باختلال موازين الحضارة الغربية. فعند ما يكون الحوار - على سبيل المثال - حول معاني العفة وضرورة الالتزام بالحلال يؤدي بالضرورة إلى الاعتراف بأن ثقافة البهائم والسقوط إلى درجة أسفل السافلين في علاقات الذكور والإناث ودفع ملايين الأطفال سنوياً إلى أسر مكسورة مشتتة يغيب عنها أحد الوالدين أو كلاهما، وقد لا يعرف هؤلاء الأطفال أسماء آبائهم، ثقافة باطلة منحطة وطريق لا يؤدي إلا إلى إبادة البشرية وهلاكها. الحوار الصادق حول مثل هذه القضايا يعني كذلك أن يتوقف الغرب من فرض وترويج تلك الحضارة البائدة فى أوساط المسلمين وأن يتعاون العالم كله مع العالم الإسلامي ومع الأمة المسلمة في الضرب بيد من الحديد على أوكار الفساد والمفسدين، وإلا فلا معنى للحوار أو لتضييع الأوقات وغِشّ الآخرين...

الدار قبل الجار

أيها الإخوة! التحدي الأساسي أمامنا ونحن نناقش قضية الحوار هو تحدي الحوار الداخلي. من المؤسف أن المسلمين أنفسهم نسوا أو تناسوا التعاليم القرآنية والنداءات النبوية حول الاعتصام بحبل الله وحول عدم التفرق والسقوط فى النزاعات والتشبث بالخلافات.

الخطوة الأولى على درب الحوار العالمي هي خطوة الإصلاح الداخلي، إصلاح الدار قبل إصلاح الجار وأعنى بذلك حوار حكومات العالم الإسلامي مع شعوبها وحوار المذاهب والطوائف الإسلامية المختلفة وحوار الدول الإسلامية مع بعضها البعض. وهنا أتوقف لأشيد بكل الجهود التي بذلها أشقاؤنا فى الدول المختلفة مثل "ميثاق الوحدة الفكرية" التى أقرتها جمعية الإصلاح الاجتماعي بدولة الكويت الشقيقة قبل حوالي ثلاثة أشهر ووقع عليها عدد كبير من المفكرين وقادة العمل الإسلامي في العالم. ثم «ميثاق الوحدة الإسلامية» الصادرة من مؤتمر الوحدة لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية فى طهران الشهر المنصرم والمواثيق العديدة التي صدرت من مكة المكرمة للإصلاح بين الأشقاء في العراق المحتل وفي فلسطين المحتلة وما صدر من مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي حول تبنى الحوار وسيلة لمخاطبة الغرب وحول التنسيق بين الحركات والمراكز الإسلامية فى العالم حول والتنسيق بين المنظمات الخيرية المختلفة وكذلك المواثيق المختلفة التي أصدرناها في باكستان لتوحيد صفوف المذاهب والمدارس المختلفة. أشيد بكل هذه الجهود ولكن ما نحتاج إليه فعلا هو العمل، تطبيق ما نعلن ومقارنة ما نقول بما نفعل.

إن هذا الحوار الداخلي وتوحيد صفوف المسلمين جميعاً يعتبر من أهم مقتضيات الساعة. فالبشرية تمر بمراحل حساسة ومصيرية. هناك قوى الشر والبغي والهلاك تبذل قصارى جهودها لنشر الفساد وإشاعة المنكرات وترويج الخبائث والموبقات وهناك قوى عالمية تسعى وتبذل جهوداً مستميتة لتحريف الشريعة الإسلامية الغراء.

هناك جهود تبذل باسم الإسلام المستنير والإسلام الحديث وتستهدف إلى وأد روح الإسلام في قلوب الأجيال المتعاقبة. هناك جهود عالمية ومدعومة بالبلايين من الدولارات لاستخدام التقنيات الحديثة خاصة تقنيات نقل المعلومات مثل القنوات الفضائية والشبكات العنكبوتية والرسائل والحزم الضوئية والهواتف النقالة والأقراص المدمجة لنشر الإباحية ولنشر الإرهاب الفكرى والطائفي والعرقي والإقليمي الممقوت.

ثم هناك قوى عالمية تريد أن تسيطر على العالم كله بقوة السلاح وبقوة المال، تتهم وتسمي من لا يساعدها فى هذه الحروب ولا يدعمها فى إماتة القلوب بالإرهاب وتشن عليه حرباً شاملة، مدعية بأن هذا هو النظام العالمي الجديد. إننا لو لم نجمع كل الجهود ولو لم نخاطب كل العقول وكل القلوب في الشرق وفي الغرب لاستحالت مواجهة وإيقاف هذه الهجمات الشيطانية الشرسة.

توحيد الجهود يحافظ على الوجود

لقد فرض الله علينا إعداد القوة لمواجهة ما يهدد الوجود ومن أهم ما يوفر القوة ويحافظ على الوجود هو وحدة الصف وتوحيد الجهود. بوحدة الصف الداخلي وبتوحيد الجهود العالمية والتنسيق بينها سوف

نتمكن بإذن الله من تقوية الأمة.

وأقترح فى هذا الصدد أن تنبثق من هذا المؤتمر لجنة عالمية موسعة دائمة تسعى سعياً جاداً لإنهاء الخلافات الداخلية بين المسلمين ومد جسور التعاون والتنسيق مع العالم الخارجي.

إن عالمنا اليوم أيها الإخوة، في حاجة إلى إيجاد قوة تلتزم بمعاني العدل والقسط. العدل كما تعرفون هو الأساس الذي يقف عليه ديننا الحنيف والذي أرسل من أجله الأنبياء والرسل والله تعالى يقول : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وَقال : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء : ١٣٥) ، وَقال : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ (المائدة : ٨).

فلو بقيت في العالم قوى باغية، قوى طاغية، قوى غازية، قوى استعمارية لا تبالي بأي مبدأ من مباديء العدل والقسط فسوف تظل البشرية في تيهها، ولن تعرف للنجاة سبيلاً. وكذلك لو ظللنا نؤمن ونتلو ونردد الآيات الكريمة حول ضرورة القسط والعدل ولم نوفر له القوة، قوة الإيمان والعقيدة، قوة الاستقلال والحرية، قوة اتخاذ قراراتنا بأنفسنا، قوة الوقوف مع المظلومين والمضطهدين، قوة الحوار والتفاوض والتواصل والتفاهم والوحدة، قوة العلم والحصول على التكنولوجيات الضرورية اللازمة لبقينا كذلك فى موقع المتلقي الضعيف، وأعوذ بالله من ذلك، ويأبى الله أن يكون كذلك، فهو متم نوره ولو كره الكافرون.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.